مقالات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.73].

إضاءات حول تأريخ معاصر صناعة الزيت
الموطنة بالحي الشمالي – الشرقي لمدينة وليلي (المغرب)

د. نبيل الزايري
أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي
الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين جهة طنجة
تطوان – المملكة المغربية

مُلَخّص

احتلت صناعة الزيت مكانة متميزة في الحياة الاقتصادية لمدينة وليلي بفعل توفر مجالها الفلاحي على مؤهلات طبيعية مواتية، ساعدت على انتشار وتطور غراسة الزيتون. وتشهد على أهمية هذه الصناعة بالمدينة بقايا أثرية تعود لمعاصر الزيت التي استقطبت اهتمام بعض الباحثين بشكل مباشر، ونخص بالذكر دراسة الباحثين عمر أكراز (A. Akerraz) وموريس لونوار (M. Lenoir) التي أحاطت بمختلف الجوانب المرتبطة بهذه الصناعة وكذا دراسة الباحث علي الواحدي التي جاءت منتقدة لسابقيه بخصوص عملية تأريخ. وإذا كانت هاتين الدراستين قد تطرقتا لجل المعاصر المنتشرة بالمجال الحضري، فإن هذا المقال سيقتصر على معالجة إشكالية تأريخ معاصر الزيت الموطنة بالحي الشمالي–الشرقي فقط من خلال تقديم حصيلة لنتائج الأبحاث الأثرية التي انصب اهتمامها على دراسة معاصر الحي، معتمدين في ذلك بالأساس على إخضاع نتائج الأبحاث السابقة للنقد والتحليل من جهة، ومقارنتها بالنتائج اللاحقة التي اهتمت بتطور النسيج العمراني للحي من جهة ثانية، على اعتبار أن تهيئة المعاصر تعد مرحلة أساسية من مراحل التطور العمراني للحي ككل.

بيانات المقال:

تاريخ استلام المقال: ٢٠ يوليو ٢٠٢٣
تاريخ قبول النشر: ١٤ نوفمبر ٢٠٢٣

كلمات مفتاحية:

مدينة وليلي؛ معاصر الزيت؛ صناعة الزيت؛ الفترة الرومانية؛ المغرب القديم؛ الآثار والتراث المادي والشفهي.

معرِّف الوثيقة الرقمي: 10.21608/KAN.2023.248587

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

نبيل الزايري. "إضاءات حول تأريخ معاصر صناعة الزيت الموطنة بالحي الشمالي – الشرقي لمدينة وليلي (المغرب)".- دورية كان التاريخية.- السنة السادسة عشرة- العدد الثاني والستون؛ ديسمبر ٢٠٢٣. ص ٣٤ – ٤٢.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique
Corresponding author: nabilzairi26@gmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورِيةُ كَان التَّارِيخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَة

احتلت صناعة الزيت مكانة متميزة في الحياة الاقتصادية لمدينة وليلي بفعل توفر مجالها الفلاحي على مؤهلات طبيعية مواتية، ساعدت على انتشار وتطور غراسة الزيتون. وتشهد على أهمية هذه الصناعة بالمدينة بقايا أثرية تعود لمعاصر الزيت التي استقطبت اهتمام بعض الباحثين بشكل مباشر. ونخص بالذكر دراسة الباحثين عمر أكراز (A. Akerraz) وموريس لونوار (M. Lenoir) التي أحاطت بمختلف الجوانب المرتبطة بهذه الصناعة[١]، وكذا دراسة الباحث علي الواحدي (A. Ouahidi)[٢] التي جاءت منتقدة لسابقيه بخصوص عملية تأريخ.

وإذا كانت هاتين الدراستين قد تطرقتا لجل المعاصر المنتشرة بالمجال الحضري، فإن هذا المقال سيقتصر على معالجة إشكالية تأريخ معاصر الزيت الموطنة بالحي الشمالي-الشرقي فقط من خلال تقديم حصيلة لنتائج الأبحاث الأثرية التي انصب اهتمامها على دراسة معاصر الحي، معتمدين في ذلك بالأساس على إخضاع نتائج الأبحاث السابقة للنقد والتحليل من جهة، ومقارنتها بالنتائج اللاحقة التي اهتمت بتطور النسيج العمراني للحي من جهة ثانية، على اعتبار أن تهيئة المعاصر تعد مرحلة أساسية من مراحل التطور العمراني للحي ككل. لكن قبل التطرق لإشكالية التأريخ، سنستعرض الأبحاث الأثرية التي تناولت معاصر الزيت بالحي الشمالي-الشرقي للمدينة.

أولاً: تاريخ الأبحاث الأثرية

بعد توقيع معاهدة الحماية سنة ١٩١٢، انطلقت الحفريات بمدينة وليلي مع الباحث الفرنسي لويس شطلان (L. Chatelain) خلال منتصف سنة ١٩١٥، وهمت الأشغال في البداية إماطة التراب عن بنايات الحي الشمالي-الشرقي. في هذا السياق، أزيح التراب عن معاصر الحي[٣]، لكنها لم تعرف دراسة شاملة لمكوناتها إلا مع الباحث روبير إتيان (R. Etienne) في إطار دراسته لبنايات الحي الشمالي-الشرقي. إذ أرجع الباحث بموجب هذه الدراسة معصرتي منزل حمام الحوريات (رقم ٤) ومنزل الحيوانات (رقم ٣) نسبيًا إلى مرحلة لاحقة على النواة الأولى للمنزلين[٤]، وأرخ معاصر الحي حسب التأريخ المطلق خلال الفترة الممتدة ما بين سنتي ٢١٥-٢٤٩ ميلادية[٥].

ومع مطلع ثمانينيات القرن الماضي، نشر الباحثان عمر أكراز (A. Akerraz) وموريس لونوار (M. Lenoir) دراسة دقيقة لمعاصر الزيت بمدينة وليلي (الوثيقة رقم ١)، تناولت مكوناتها وطريقة اشتغالها، ورصدت خصوصيتها والتطور الذي طالها، فخلص الباحثان من خلال الدراسة المنجزة إلى تأريخ معاصر الحي كالآتي:

أرخت الدراسة خمس معاصر (معصرة منزل المقبرة الإسلامية والمعصرة المزدوجة ومعصرة منزل النقد الذهبي ومعصرة منزل الحيوانات ومعصرة منزل الخاتم الذهبي) في مرحلة لاحقة على النواة الأولى للمنازل المرتبطة بها؛ وأعادت معصرة قصر غورديان إلى التوسعة التي شهدتها البناية ما بين سنتي ٢٣٨-٢٤٤ ميلادية؛ وأرجعت معصرة منزل التعلم إلى مرحلة متزامنة مع المعصرة الأخيرة أو لاحقة عليها، لكونها جاءت في الجهة التي امتدت فوق الشارع الطولي الشمالي رقم 1[٦].

علاوة على ذلك، انتهى صاحبي الدراسة إلى اقتراح تواريخ مهمة، ارتبطت بمعاصر المدينة، نلخص أهمها في ثلاث نقط رئيسية: الأولى، تمثلت في تأريخ معاصر الحي الشمالي-الشرقي التي تبرز ثقالات أسطوانية في مرحلة لاحقة على سنة ١٧٠ ميلادية، متأثرين في ذلك بما خلص إليه الباحث ريني روبيفا (R. Rebuffat)[٧] حول التطور العمراني للحي؛ والثانية، أرجعت المعصرة الكائنة جنوب المعبد C (رقم ٢٢) التي ضمت ثقالة متوازية السطوح في مكانها إلى منتصف القرن الثاني ميلادي، استنادا إلى العثور على قطعة خزفية تعود للخزف السيجيلي الفاتح هاييس 8B أو 14A ضمن الملاط الهيدروليكي المكون لفضاء العصر[٨]، بمعنى خلال هذا التاريخ لا زالت المعصرة تقوم بوظيفتها[٩]؛ والثالثة، تلخصت في إرجاع الانتقال التقني الذي طال المعاصر من الثقالة المتوازية السطوح إلى الثقالة الأسطوانية إلى المرحلة الممتدة ما بين سنتي ١٥٠-١٨٠ ميلادية[١٠].

وخلال نهاية الثمانينيات ومنتصف التسعينيات، أنجز الباحث علي واحدي (A. Ouahidi) عملا أكاديميا في إطار الإعداد لمشروع نيل شهادة دكتوراه الدولة حول الزيت والزيتون بوليلي، فانتقد التواريخ المقترحة من قبل سابقيه، لكونها لم تستند في شقها العلمي على نتائج حفريات منهجية، وإنما اقتصرت -في اعتقاده- على الملاحظات العينية المباشرة وعلى النتائج المستقاة من التأريخ النسبي.

في هذا الإطار، حاول الباحث من جهته تأريخ معاصر المدينة استراتيغرافيا من خلال إقامة عدة استبارات، تجاوز عددها الثلاثين، خلص من خلالها إلى اقتراح تأريخا متقدما عن سابقيه، قضى بتأريخ المعصرة رقم ٢٢ التي ضمت ثقالة متوازية السطوح في القرن الأول ميلادي، قبل وصول الخزف السيجيلي الفاتح إلى أسواق موريطانيا الطنجية (أي قبل سنة ٨٠ ميلادية)؛ وأرجع معاصر الحي التي تبرز الثقالات الأسطوانية إلى نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني ميلادي، وخص بالذكر على سبيل المثال لا الحصر: معصرة منزل حمام الحوريات (رقم ٤) ومعصرة منزل النقد الذهبي (رقم ٥) ومعصرة منزل الكهف (رقم ١٢)[١١].

ثانيًا: معاصر الحي الشمالي-الشرقي

ضم الحي الشمالي-الشرقي اثنتا عشرة معصرة، وزعت كالآتي: أربع معاصر تطورت بمنازل الضفة الشمالية للشارع الطولي الرئيس (المعصرة رقم ١ و٢ و٣ و٤)؛ وخمس أخرى بمنازل الضفة الجنوبية لنفس الشارع (المعصرة رقم ٥ و٦ و٧ و٨ و٩)؛ ومعصرتين بكل من منزل التمثال النصفي (رقم ١٠) ومنزل الخاتم الذهبي (رقم ١١) الواقعين بالضفة الجنوبية للشارع الطولي الجنوبي رقم ١ (شارع القناة)؛ ومعصرة وحيدة أقيمت بمنزل الكهف (رقم ١٢) الممتد على الضفة الجنوبية للشارع الطولي الجنوبي رقم ٢.

وتجدر الإشارة إلى أن جل هذه المعاصر قد أبانت عن مختلف مكونات المعصرة التقليدية التي تشكلت من الرحى ومنضدات العصر والثقالات والأحواض. لكن ما يجب التأكيد عليه هو اقتصار معاصر الحي على ضم ثقالات أسطوانية بدل المتوازية السطوح، باستثناء معصرة منزل حمام الحوريات التي كشفت عن ثقالة متوازية السطوح تم العثور عليها ضمن مواد بناء أحد الجدران المكونة للمعصرة[١٢].

وقبل تقديم خلاصة تركيبية لتأريخ معاصر الحي، ارتأينا التطرق لكل معصرة على حدة كالآتي:

١/٢-معاصر الضفة الشمالية للشارع الطولي الرئيس

تضم منازل الضفة الشمالية للشارع الطولي الرئيس أربع معاصر لصناعة الزيت: أولى هذه المعاصر هي معصرة منزل حمام الحوريات التي حملت رقم ٤، أرجعها الباحث روبير إتيان (R. Etienne) نسبيا إلى مرحلة لاحقة على النواة الأولى للمنزل[١٣]، وأرخها الباحث علي الواحدي (A. Ouahidi) استراتيغرافيا في نهاية القرن الأول أو بداية القرن الثاني ميلادي[١٤]. لكن نتائج دراسة الباحث محمد مقدون (M. Makdoun) لمنزل ديونيسوس والفصول الأربعة ومنزل حمام الحوريات[١٥]، جعلتنا نشكك في التأريخ الذي اقترحه الباحث للمعصرة.

إذ أرخ النواة الأولى لمنزل حمام الحوريات استراتيغرافيا في النصف الثاني من القرن الثاني ميلادي، وأرجع المعصرة لمرحلة لاحقة، حددها في القرن الثالث ميلادي[١٦]، دون إجراء أي استبار عليها. لكن إذا سلمنا بصحة انتماء المعصرة إلى المرحلة الثانية من تطور المنزل، فإن أحدث اللقى الخزفية التي تؤرخ لهذا المستوى حسب ما نشره الباحث، تعود للخزف السيجيلي الفاتح صنف C شكل هايبس ٥٠[١٧]. وهذا الصنف يؤرخ لمستويات لاحقة على سنة ٢٣٠ ميلادية.

في نفس الصدد، خلص الباحث روبير إتيان (R. Etienne) إلى استبعاد عودة معصرة منزل الحيوانات للنواة الأولى للمنزل، لأن دراسته للمنزل أقرت بتكون البناية من إقامتين: إحداهما جنوبية تشرف على الشارع الطولي الرئيس؛ والأخرى شمالية مفتوحة على الشارع الطولي الشمالي رقم ١. ورأى أن الإقامة الأولى لعبت دورا أساسيا في تزويد الإقامة الثانية بالماء، مما جعله يؤرخ الإقامة الأولى في مرحلة سابقة على الثانية[١٨]. أما المعصرة فأرجعها لمرحلة لاحقة على بناء الإقامة الشمالية، نظرا لتطور بعض مكوناتها بقلب باحتها

المعمدة[١٩]، الشيء الذي يدل على أن المعصرة لا تعود للنواة الأولى للمنزل[٢٠]، وإنما تعود لمرحلة ثالثة من تطور البناية.

أما فيما يخص معصرة قصر غورديان (رقم ٢)، فقد حددتها نتائج الأبحاث الأثرية في مرحلة متأخرة، وأرجعتها إلى التوسعة التي شكلت قصر غورديان نتيجة امتداد منزل بومبي شمالاً وشرقًا، وحددتها ما بين سنتي ٢٣٨-٢٤٤ ميلادية، استنادًا إلى نقيشة رسمية عثر عليها بالرواق الغربي للقصر الذي أشرف على الشارع الطولي الرئيس[٢١].

ونفس الأمر يسحب على معصرة منزل التعلم (رقم ١) التي تقع في الجزء الممتد فوق الشارع الطولي الشمالي على غرار التوسعة التي عرفها قصر غورديان شمالاً، وهو الأمر الذي سمح بإرجاع المعصرة إلى مرحلة متزامنة أو لاحقة على توسعة القصر التي حددت ما بين سنتي ٢٣٨-٢٤٤ ميلادية[٢٢].

٢/٢-معاصر الضفة الجنوبية للشارع الطولي الرئيس

تضم منازل الضفة الجنوبية للشارع الطولي الرئيس خمس معاصر: أولى هذه المعاصر حملت رقم ٩ تطورت بالجزء الغربي المضاف لمنزل المقبرة الإسلامية ما بين المنزل وفرع قناة المياه المنتهي إلى السقاية العمومية الكائنة في أقصى غرب الضفة اليمنى للشارع الطولي الرئيس. حددتها نتائج الأبحاث الأثرية في مرحلة لاحقة على النواة الأولى للمنزل، زامنتها مع تنقيل المدخل الرئيس الذي أصبح مشتركا بين المنزل والمعصرة التي شغلت فضاء مهما من الجزء المضاف[٢٣].

وغير بعيد عن معصرة منزل المقبرة الإسلامية، امتدت المعصرة رقم ٨ بمنزل أنصاف الأعمدة. سجلها الباحث ريمون توفنو (R. Thouvenot) ضمن مرحلة لاحقة على النواة الأولى للمنزل، زامنها مع تهيئة القاعتين المتتابعتين رقم ٥ و٦[٢٤]، الشيء الذي جعلنا نعتقد أن القاعتين معا، شكلتا إبان مرحلة أولى دكانا واحدا مفتوحا على الشارع الطولي الرئيس على غرار الدكان رقم ٤، لأن الجدار الذي فصل القاعتين السابقتين اتكأ على الدعامة الجنوبية لمدخل القاعة رقم ٥. ونفس الأمر قد يسري على القاعتين رقم ١٧ و١٨ اللتين تطورت فيهما معصرة منزل النواريدات التي حملت رقم ٧، إذ يرجح أن شكلتا خلال مرحلة أولى دكانين، انفتحا على الشارع العرضي الجنوبي رقم ٣.

وشرق المعصرة الأخيرة، امتدت المعصرة المزدوجة التي حملت رقم ٦ (الوثيقة رقم ٢)، حددت نتائج الأبحاث الأثرية تاريخ بنائها في مرحلة لاحقة على النواة الأولى للمنزل الذي أخذ اسمها، لأن بناءها تزامن مع إغلاق مدخلا للمنزل على الشارع العرضي الذي تحولت وظيفته من عمومية إلى خصوصية مشتركة ما بين منزل النواريدات ومنزل المعصرة المزدوجة بعد إقامة قناة المياه[٢٥].

أما فيما يتعلق بالمعصرة رقم ٥ التي توطن بالمركب الصناعي لمنزل النقد الذهبي، فتشير نتائج الأبحاث الأثرية أن المركب الصناعي يعود لمرحلة لاحقة على بناء القناة والنواة الأولى للمنزل، على اعتبار أن بناء هذين الأخرين، خلف مساحة بينهما أخذت شكل شبه منحرف، شغلت المركب الصناعي خلال مرحلة لاحقة، مما جعل جدرانه تتكئ على الحائط الجنوبي للنواة الأولى للمنزل[٢٦]. وإذا سلمنا أن المنزل والقناة يعودان على الأقل للمرحلة الممتدة ما بين سنتي ٤٤-٨١/٨٠ ميلادية[٢٧]، فإن المركب الصناعي يعود لمرحلة لاحقة، أرخت على ضوء نتائج الأبحاث الأثرية ما بين سنتي ٨١/٨٠-١٦٩/١٦٨ ميلادية[٢٨]، دون أي أساس علمي متين.

على هذا الأساس، حاول الباحث علي واحدي (A. Ouahidi) تأريخ المعصرة استراتيغرافيا، فأنجز أربع استبارات على البناية: نشر نتائج واحد منها، باشره بالشارع العرضي الجنوبي رقم ١ على الجدار الشرقي لفضاء العصر، قاده إلى تحديد المعصرة في نهاية القرن الأول ميلادي[٢٩]. غير أن تأريخ المعصرة استنادا إلى استبار منجز بالشارع العرضي، غير سليم على المستوى المنهجي[٣٠]، الشيء الذي دفعنا إلى التشكيك في التأريخ المقترح، في انتظار عما ستسفر عنه استبارات جديدة.

٣/٢-معاصر الضفة الجنوبية للشارع الطولي الجنوبي رقم ١ (شارع القناة)

ضمت منازل هذه الضفة معصرتين: أولى حملت رقم ١١، تطورت بالجزء الغربي لمنزل الخاتم الذهبي الذي تم

تأريخه من قبل الباحثين عمر أكراز (A. Akerraz) وموريس لونوار (M. Lenoir) في مرحلة لاحقة على النواة الأولى للمنزل، لأن جدرانه التي اتخذت اتجاهًا شرقيًا-غربيًا قد اتكأت على جدران الواجهة الغربية للمنزل[٣١]. أما الباحث محمد مقدون (M. Makdoun)، فقد أرجع المنزل للمرحلة الأولى من تطور الحي والقناة، وحددها ما بين سنتي ٤٤-٨١/٨٠ ميلادية[٣٢]، وسجل إضافة الجزء الغربي الذي تطورت به المعصرة ضمن مرحلة ثانية، حددها ما بين سنتي ٨١/٨٠-١٦٩/١٦٨ ميلادية[٣٣]، دون إجراء أي استبار على البناية.

وعلى عكس المعصرة السابقة التي أقيمت في الجزء المضاف للتصميم الأولي للمنزل، تطورت المعصرة الثانية التي حملت رقم ١٠ داخل حدود التصميم الأولي لمنزل التمثال البرونزي الذي حدد بناءه هو الأخر ما بين سنتي ٤٤-٨١/٨٠ ميلادية، الشيء الذي يجعلنا نرجح عودة المعصرة إلى مرحلة لاحقة على النواة الأولى للمنزل[٣٤]، لأنها حافظت على مكوناتها وفق طريقة اشتغالها، وضمت ثقالة أسطوانية تؤرخ على أقل تقدير في مرحلة لاحقة على سنة ١٥٠ ميلادية التي تشير إلى استمرار وظيفة الثقالات المتوازية السطوح.

٤/٢-معصرة منزل الكهف (رقم ١٢) الواقعة بالضفة الجنوبية لشارع الطولي الجنوبي رقم ٢

تطرق الباحث علي الواحدي (A. Ouahidi) لمعصرة منزل الكهف في أطروحته، وخصها باستبار وحيد أنجزه على فضاء العصر، قاده إلى تأريخ المعصرة في نهاية القرن الأول أو بداية القرن الثاني ميلادي، استنادا إلى مواد خزفية، توزعت ما بين الخزف السيجيلي الفاتح صنف A والخزف السيجيلي المصنوع جنوب بلاد الغال والخزف السيجيلي الإسباني، والأمفورات صنف دريسيل ١٣/٧ ودريسيل ٢٠ وBIIB[٣٥]. غير أن العديد من المؤشرات تخبرنا بانتماء المعصرة إلى تاريخ متأخر، فالباحث محمد مقدون (M. Makdoun) الذي أعاد دراسة المنزل في أطروحته لنيل شهادة دكتوراه الدولة، احتمل بعودة النواة الأولى للمنزل إلى نفس مرحلة منزل الدعامات، وحددها ما بين نهاية القرن الثاني ومنتصف القرن الثالث ميلادي[٣٦]، بمعنى أن تاريخ إحداث المعصرة متزامن على الأقل مع النواة الأولى للمنزل أو لاحق عليها.

أما الباحثة هاجر فدول (H. Feddoul) التي أنجزت دراسة معمارية وكرونولوجية للمنزل، فقد أرجعت تهيئة المعصرة نسبيًا إلى مرحلة لاحقة على النواة الأولى للمنزل (الوثيقة رقم ٣)، حددتها استراتيغرافيا في مرحلة لاحقة على سنة ٢٣٠ ميلادية، وهي السنة التي تشير إلى وصول الخزف السيجيلي الفاتح صنف C إلى أسواق موريطانيا الطنجية[٣٧].

ثالثًا: تأريخ معاصر الحي الشمالي-الشرقي

بناءً على ما سبق، تشير معطيات التأريخ النسبي إلى أن معاصر الحي الشمالي-الشرقي لا تعود للنواة الأولى للمنازل المرتبطة بها، وإنما ترجع إلى مرحلة لاحقة عليها. كما تبين أيضًا أن تسع معاصر (رقم ١ و٢ و٣ و٤ و٥ و٦ و٩ و١١ و١٢) من أصل الاثنتا عشرة الموجودة بالحي ترجع للمرحلة الأخيرة من تطور البنايات العائدة لها، سبع منها (١ و٢ و٥ و٦ و٧ و٩ و١١) ارتبطت تهيئتها بتحول عمراني منظم تجلى في توسع المنازل خارج تصاميمها الأولية، ممتدة فوق شوارع عمومية التي تحولت وظيفتها من عمومية إلى خصوصية، مدشنة بذلك لأخر تطور حضري منظم قبل الجلاء الروماني عن المدينة حوالي سنة ٢٨٥ ميلادية. هذا الأمر يتوافق إلى حد ما مع إشارة الباحثين عمر أكراز (A. Akerraz) وموريس لونوار (M. Lenoir) التي تفيد أن معاصر المدينة تعود للمرحلة الرومانية الأخيرة[٣٨]، نظرًا لحفاظها على مكوناتها وفق طريقة اشتغالها.

من جانب أخر، إن الرجوع لتأريخ الانتقال التقني الذي طال معاصر المدينة من الثقالة المتوازية السطوح إلى الثقالة الأسطوانية خلال المرحلة الممتدة ما بين سنتي ١٥٠-١٨٠ ميلادية[٣٩]، يجعل تأريخ معاصر الحي الشمالي-الشرقي في مرحلة لاحقة على منتصف القرن الثاني ميلادي أمرًا مشروعًا، استنادًا إلى ضم معاصر الحي لثقالات أسطوانية. لكن اعتماد تأريخها في مرحلة لاحقة على سنة ١٧٠ ميلادية[٤٠]، مشكوك في أمره، لأن صياغته تمت بالاستناد إلى فكرة الباحث ريني روبيفا (R. Rebuffat) الذي ربط بين الاتجاه العام للحي

واتجاه السور[٤١] المؤرخ عادة ما بين سنتي ١٦٨/١٦٩ ميلادية اعتمادًا على نقيشة وجدت في الجزء الثاني من السور[٤٢]، الذي يعود حسب التأريخ النسبي لمرحلة لاحقة على الجزء الأول الذي أحاط بالحي الشمالي-الشرقي[٤٣].

بل إن دراستنا للسور الروماني في مجمله، قادتنا إلى تحديد الجزء الأول الذي أحاط بالحي الشمالي-الشرقي استراتيغرافيا في مرحلة سابقة على قناة المياه التي ترجع للمرحلة الفلافية[٤٤]، مما جعل المحدد الأدنى المعتمد يفقد مشروعيته. لذلك يبدو الأصح -في حدود ما توصل إليه البحث الأثري- تأريخ معاصر الحي التي أبانت عن ثقالات أسطوانية في مرحلة لاحقة على منتصف القرن الثاني ميلادي، وهي السنة التي تشير إلى استمرارية اشتغال المعصرة ذات الثقالة المتوازية السطوح[٤٥]. كما أن هذا الانتقاد لا يعني بتاتا، أنها تعود إلى مرحلة سابقة على سنة ١٧٠ ميلادية، وإنما على العكس من ذلك، تشير الشواهد المادية المتوفرة إلى انتماء المعاصر للمرحلة الأخيرة من الوجود الروماني بالمدينة قبل الجلاء عنها حوالي سنة ٢٨٥ ميلادية.

وتبعًا لذلك، فإذا سلمنا بربط معاصر الحي بالمرحلة الرومانية الأخيرة، لكونها لخصت ملامح آخر تطور حضري روماني منظم ومخطط له قبل الجلاء عن المدينة، فإن هذا المعطى يجعلنا نقترح تحديدها على نطاق واسع -في حدود ما توصل إليه البحث الأثري- في القرن الثالث ميلادي على غرار المعاصر المؤرخة بنوع من الدقة، ونخص بالذكر معصرة قصر غورديان المؤرخة ما بين سنتي ٢٣٨-٢٤٤ ميلادية، ومعصرة منزل التعلم المتزامنة معها أو لاحقة شيئًا ما[٤٦]؛ وكذا معصرتي منزل حمام الحوريات ومنزل الكهف المحددتين خلال مرحلة لاحقة على وصول الخزف السيجيلي الفاتح صنف C[٤٧] إلى أسواق مقاطعة موريطانية الطنجية، بمعنى خلال مرحلة لاحقة على سنة ٢٣٠ ميلادية، في انتظار عما ستسفر عنه نتائج استبارات مستقبلية.

وبما أننا نعلم، أن المرحلة السيفيرية تركت بصماتها بارزة على المشهد العمراني للمدينة. فيصح إذن، إرجاع المعاصر إلى هذه المرحلة على الأقل، ومن تم تفسير تعددها وانتشارها بالمدينة عامة والحي خاصة، بتشجيع الإمبراطور سيبتيموس سيفروس (Septimius Severus) لزراعة الزيتون والقمح بإفريقيا[٤٨] من أجل تأمين حاجيات روما من هاتين المادتين على غرار ما ذهب إليه الباحثين عمر أكراز (A. Akerraz) وموريس لونوار (M. Lenoir)[٤٩]. وبالتالي فهذا المعطى، يجعلنا نسجل الانتشار الواسع للمعاصر بالمدينة خلال مرحلة متزامنة على الأقل أو لاحقة على حكم الإمبراطور الأخير.

خَاتِمَةٌ

تجدر الإشارة في هذه الخاتمة إلى اكتشافين اثنين، يكتسيان أهمية بالغة: الأول، بموضع سيدي بولنوار (Sidi Boulanouar) بجماعة الأربعاء عياشة، بإقليم العرائش، ويتعلق الأمر بالعثور على أجزاء معصرة ارتبطت بصناعة الخمر، ضمت حوضا اكتشف بداخله أثناء عملية إفراغه على بقايا لعظام العنب متجمعة هنا وهناك، وبعد دراسة المواد المستخرجة وإخضاعها للمعاينة الدقيقة، تم تسجيل سنة ٢٠١٤ العثور على أول معصرة لصناعة الخمر بالمغرب تعود للمرحلة الرومانية[٥٠]؛ والثاني، بموضع ريغا (Rirha) بإقليم سيدي سليمان، ويتعلق الأمر باكتشاف بقايا عظام العنب أيضًا مجتمعة بثقالة تعود لمعصرة لها نفس خصائص معاصر الزيت سنة ٢٠١٦، ومما زاد من تأكيد الأطروحة هو العثور على نفس البقايا بحاويات كبرى تعرف بالدوليا (Dolium)[٥١].

من هذا المطلق، تجدر الإشارة إلى أن عدد المعاصر التي تم العثور عليها داخل مدينة وليلي بلغت حولي ٧٠ معصرة، ارتبطت منذ البداية في عرف الباحثين بصناعة الزيت. وبعد هذين الاكتشافين، ألا يحق لنا التساؤل حول الوظيفة الحقيقية لهذه المعاصر، مع العلم أن مكونات معاصر الزيت لا تختلف عن نظيرتها المعدة لصناعة الخمر. إذن، فهل جل المعاصر المكتشفة لحد الآن بالمدينة ارتبطت بصناعة الزيت؟ أم هناك البعض منها استعمل لصناعة الخمر؟ لا إجابة لحدود الساعة على هذه الإشكالية التي يبقى البث فيها رهين دراسة منهجية دقيقة لجل معاصر المدينة، تستند في شقها التقني على تنقية الحاويات والثقالات ومختلف أجزاء المعاصر، وتحليل بقاياها إن وجدت للإجابة على هذه التساؤلات.

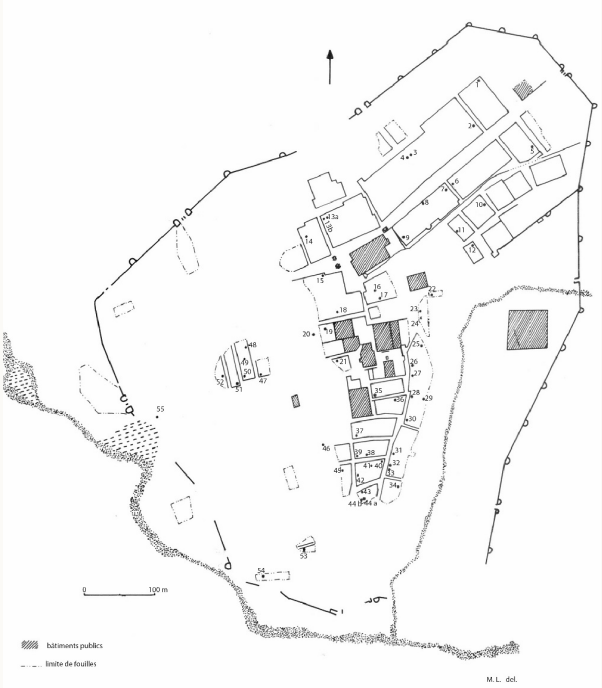

الوثيقة رقم ١ : معاصر صناعة الزيت بمدينة وليلي
Akerraz et Lenoir, "Les huileries," Pl. I.

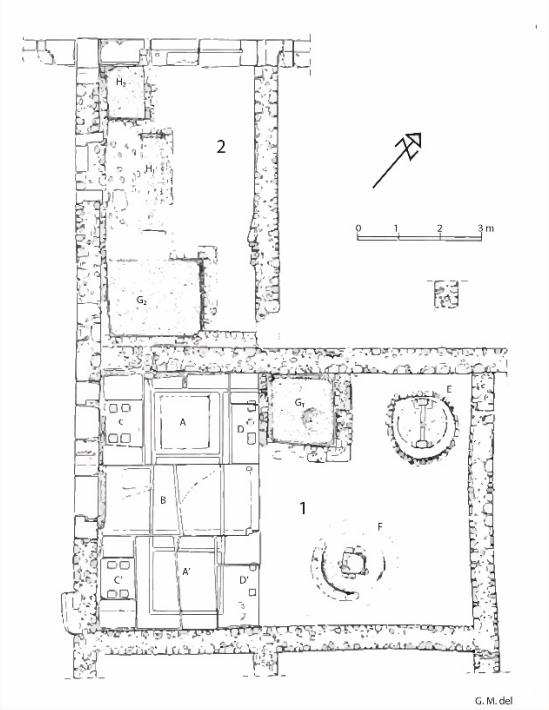

الوثيقة رقم ٢ : المعصر المزدوجة
Akerraz et Lenoir, "Les huileries," Pl. II

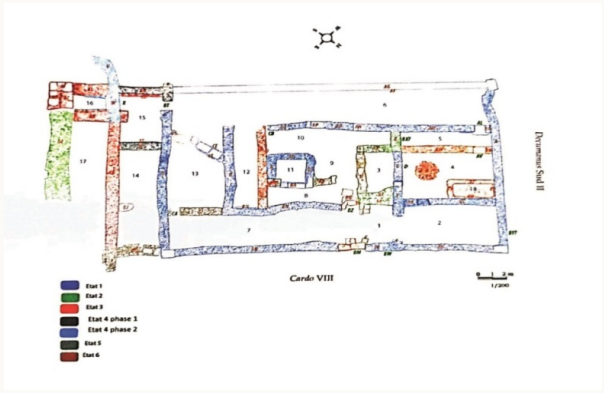

الوثيقة رقم ٣ : مراحل تطور منزل الكهف
Feddoul, "*La maison,*".

الإحالات المرجعية:

(1) Aomar Akerraz et Maurice Lenoir, "Les huileries de Volubilis," *Bulletin d'archéologie marocaine* XIV, (1981-1982): 69-101

(٢) علي واحدي، **"الزيت والزيتون بالمغرب القديم نموذج المعاصر بوليلي،"** (دكتوراه الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز فاس، ١٩٩٥)، رسالة مرقونة.

(3) Louis Chatelain, "Rapport [sur les recherches conduites à Volubilis]," *Bulletin archéologique du Comité des Travaux Historiques,* (1916): CXXXIX ; Louis Chatelain, "Note sur les fouilles de Volubilis (Maroc)," *Comptes rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles lettres,* (1916): 362.

(4) Robert Etienne, *Le quartier nord-est de Volubilis*, (Paris : E. de Boccard, 1960), 162.

(5) *Ibid.*, 145-155.

(6) Akerraz et Lenoir, "Les huileries," 69-101 ; Aomar Akerraz et Maurice Lenoir, "Appendice : Note sur les huileries du quartier nord-est de Volubilis," dans *L'Africa romana* IV, Sassari 1986, (Sassari, 1987), 459-460.

(٧) تأثر الباحثين عمر أكراز (A. Akerraz) وموريس لونوار (M. Lenoir) بأطروحة الباحث ريني روبيفا (R. Rebuffat) حول التطور العمراني للحي، إذ ربط بنايات الحي التي أخذت الاتجاه العام للحي بسور المدينة المؤرخ عادة ما بين سنتي ١٦٨/١٦٩ ميلادية (René Rebuffat, "Le développement urbain de Volubilis au second siècle de notre ère," *Bulletin archéologique du Comité des Travaux Historiques*, n. s. 1-2, (1965-1966): 231-240)، الشيء الذي جعل الباحثين يؤرخان معاصر الحي التي تطورت وفق نفس الاتجاه في مرحلة لاحقة على بناء سور المدينة (Akerraz et Lenoir, "Les huileries," 97).

(8) Akerraz et Lenoir, "Les huileries," 69-101

(9) Aomar Akerraz, "Y a-t-il des huileries préromaines à Volubilis ?," *Nouvelles Archéologiques et Patrimoniales* 2, (mars 1998): 7.

(10) Akerraz et Lenoir, "Les huileries," 97 ; Akerraz et Lenoir, "Appendice," 459-460.

(11) Ali Ouahidi, "Nouvelles recherches archéologiques sur les huileries de Volubilis," dans *L'Africa Romana* X, Oristano 1992, (Sassari: Editrice Archivio fotografico sardo, 1994), 289-99.

أغفل الباحث علي الواحدي (A. Ouahidi) معطيات التأريخ النسبي، التي تشير بوضوح إلى التاريخ المتأخر لإقامة المعاصر مقارنة بالنواة الأولى للبنايات التي تنتمي إليها، مما جعل التأريخ المطلق الذي طرحه يتصف بالضبابية. في هذا السياق، أنجز الباحث أكثر من ثلاثين استبارا، نشرت نتائج تسع استبارات : أربعة باشرها بمعصرة منزل النقد الذهبي ؛ واثنين أنجزهما بكل من المعصرة رقم ٢٢ الواقعة جنوب المعبد C، ومعصرة منزل الحوريات ؛ واستبار وحيد أقامه بمعصرة منزل الكهف. سنعود في هذا الهامش للاستبارين المتعلقين بالمعصرة رقم ٢٢ : الأول باشره الباحث بالجزء الشرقي للجدار الشرقي لفضاء العصر، كشف مستواه الأول المعاصر للمعصرة -حسب الباحث- على مواد خزفية، توزعت ما بين الخزف السيجيلي الأحمر والخزف ذو البطن الرصين والأمفورات صنف دريسيل ١٣/٧ ودريسيل ١٨ وBIIB، مما جعل الباحث يؤرخ المعصرة في القرن الأول ميلادي، محددا إياها قبل سنة ٨٠ ميلادية، نظرا لغياب الخزف السيجيلي الفاتح ؛ أما الاستبار الثاني، فقد أكد نتائج الاستبار الأول حسب ما أورده الباحث (Ouahidi., "Nouvelles," 299). غير أن معطيات التأريخ النسبي أقرت بوجود مرحلتين من تطور الفضاء: الأولى مثلها ممر مبلط؛ والثانية مثلتها المعصرة التي عملت على إغلاق باب يعود للمرحلة الأولى. وبما أن الاستبار أقيم بالجزء المبلط، فهو يؤرخ للمرحلة الأولى وليس للمعصرة التي ترجع إلى مرحلة لاحقة (Akerraz, "Y a-t-il des huileries," 7).

(12) Akerraz et Lenoir, "Les huileries," 83, n. 41 ; 97.

(13) Etienne, Le quartier, 162.

(14) Ouahidi, "Nouvelles," ٢٩٦.

(15) Mohammed Makdoun, "La maison de Dionysos et des quatre saisons et la maison au Bain des nymphes à Volubilis : problèmes de mitoyenneté et de chronologie," dans *L'Africa romana* XIII, Djerba 1998, (Roma: Carocci editore, 2000), 1703-1723.

(16) *Ibid.*

أشار الباحثين عمر أكراز (A. Akerraz) وموريس لونوار (M. Lenoir) إلى إعادة استعمال ثقالة متوازية السطوح في إقامة أحد جدران معصرة منزل حمام الحوريات (Akerraz et Lenoir, "Les huileries," 83, n. 41 ; 97)، لكن هذه الإشارة لا تعني أن هذه الثقالة تعود لمعصرة سابقة بنفس المنزل، وإنما تعود لمعصرة أخرى، تم الاستغناء عن ثقالتها التي أعيد استعمالها في أحد جدران معصرة منزل الحوريات، لأن تهيئة المعصرة الأخيرة تعود لمرحلة لاحقة على النواة الأولى للمنزل، حددت على ضوء نتائج الأبحاث الأثرية في القرن الثالث ميلادي.

(17) Makdoun, "La maison," 1709-1723.

(18) Etienne, Le quartier, 46.

(19) *Ibid.*, 162.

(20) Akerraz et Lenoir, "Appendice," 459, n. 2.

(21) Aomar Akerraz, "Nouvelles observations sur l'urbanisme du quartier nord-est de Volubilis," dans *L'Africa romana* IV, Sassari 1986, (Sassari, 1987), 445-450 ; Akerraz et Lenoir, "Appendice," 459-460.

(22) Akerraz et Lenoir, "Appendice," 459-460.

(23) *Ibid.*, 460 ; Aomar Akerraz et Eliane Lenoir, "Volubilis et son territoire au Ier s. de n. è.," dans *L'Afrique dans l'Occident romain, Ier s. av. J.-C., IVe s. ap.*, Rome 1987, (Rome: Collection de l'Ecole Française de Rome, n° 134, 1990), 216.

(24) Raymond Thouvenot, "Le quartier Nord-Est. La rive droite du Decumanus Maximus," *Publications du Service des Antiquité du Maroc* 8, (1948): 118.

(25) Akerraz, "Nouvelles," 453-454.

(26) *Ibid.*, 452-53.

(27) Mohammed Makdoun, "Encore sur la chronologie du quartier nord-est de Volubilis," *L'Africa Romana* X, Oristano 1992, (Sassari: Editrice Archivio fotografico sardo, 1994), 276-280, fig. 9 ; Mohammed Makdoun, "Nouvelles recherches sur l'aqueduc de Volubilis," *l'Africa Romana* XI, Carthage 1994, (Ozieri: Editrice Il Torchietto, 1996), *763-770* ; Mohammed Makdoun, "Nouvelles recherches sur le quartier nord-est de Volubilis," *Bulletin archéologique du Comité des Travaux Historiques et Scientifiques*, nouv. Sér., Afrique du Nord, fasc. 25, Paris (1999): 45-48, fig. 4.

(28) Makdoun, "Nouvelles recherches sur le quartier," 48, fig. 7.

(29) Ouahidi, "Nouvelles," 297.

(30) Akerraz, "Y a-t-il des huileries," 7.

(31) Akerraz et Lenoir, "Les huileries," 96, n. 81.

(32) Makdoun, "Encore," 276-280, fig. 9; Makdoun, "Nouvelles recherches sur l'aqueduc," 763-770 ; Makdoun, "Nouvelles recherches sur le quartier," 45-48, fig. 4.

(33) Makdoun, "Nouvelles recherches sur le quartier," 45-48, fig. 7.

(34) Layla Es-Sadra, "Transformation du paysage urbain volubilitain à l'époque préislamique," *L'Africa romana* XIX, Sassari 2010, (Roma: Carocci editore, 2012), 642, Pl. II, VI.

(35) Ouahidi, "Nouvelles," 298.

(36) Makdoun, "Nouvelles recherches sur le quartier," 48, fig. 9.

(37) Hajar Feddoul, *"La maison à la crypte à Volubilis,"* (mémoire de fin d'études du IIème cycle des sciences de l'archéologie et du patrimoine, Institut National des Sciences de l'Archéologie et du Patrimoine, Rabat, 2014), 34, 45-49, 53, 66.

(38) Akerraz et Lenoir, "Les huileries," 70.

(39) Akerraz et Lenoir, "Les huileries," 97 ; Akerraz et Lenoir, "Appendice," 459-460.

(40) Akerraz et Lenoir, "Les huileries," 96-97.

(41) Rebuffat, "Le développement," 231-40.

خلص الباحث عمر أكراز (A. Akerraz) من خلال دراسته لبنايات الحي الشمالي-الشرقي إلى تحديد العمل بالاتجاه العام للحي إبان النصف الثاني من القرن الأول ميلادي، بمعنى خلال مرحلة سابقة على بناء السور الروماني الذي يؤرخ عادة ما بين ١٦٨-١٦٩ ميلادية (Akerraz, "Nouvelles," 457 ; Akerraz et Lenoir, "Volubilis," 213-219).

(42) *IAM* lat., 383 ; Edmond Frezouls, "Nouvelles inscriptions de Volubilis," *Comptes rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles lettres,* (1952): 400-401 ; Edmond Frezouls, "Inscriptions nouvelles de Volubilis (II)," *Mélanges de l'Ecole Française de Rome* LXVI, (1956): 121-124 ; Edmond Frezouls, "Les Baquates et la province romaine de Tingitane," *Bulletin d'archéologie marocaine* II, (1957): 105 ; Edmond Frezouls, "Rome et la Maurétanie tingitane : un constat d'échec?," *Antiquités Africaines* 16, (1980): 76-77.

(43) Louis Chatelain**,** *Le Maroc des Romains. Etude sur les centres antiques de la Maurétanie occidentale*, (Paris: E. de Boccard, 1944), 163 ; Gilbert Hallier, "La fortification des villes de Tingitane au second siècle," *Studien zu dem Militärgrenzen Roms, III Vorträge des 13 Internationalen limeskongressen, Aalen, 1983*, (Stuttgart: Konrad Theiss, 1985), 605 ; Maurice Euzennat, *Le Limes de Tingitane. La frontière méridionale*, (Paris: Centre National de la Recherche Scientifique, 1989), 211.

(44) Nabil Zairi, "L'enceinte urbaine de Volubilis, une nouvelle chronologie," *colloque international de Volubilis à Mogador, nouvelles données archéologiques et patrimoniales au Maroc, Hommage à feu de Abdelfattah Ichkhakh*, Essaouira 17-19 mars 2022.

أرخ الباحث إيدمون فريزول (Ed. Frézouls) السور الذي أحاط بالمدينة الرومانية ما بين سنتي ١٦٨-١٦٩ ميلادية، استنادا إلى نقيشة وجدت بالباب F (*IAM lat.*, 383 ; Frézouls, "Nouvelles," 400-401 ; Frezouls, "Inscriptions," 121-124 ; Frezouls, "Les Baquates," 105; Frezouls, "Rome," 76-77) الذي ينتمي إلى الجزء الثاني من السور (الجزء الشمالي-الغربي)، لكن معطيات التأريخ النسبي أشارت إلى أسبقية الجزء الأول الذي أحاط بالحي الشمالي-الشرقي على الجزء الثاني الذي اتكأ على البرج الغربي للباب D وكذا على الجزء الثالث (الجزء الشرقي) الذي اتكأ هو الآخر على الجدار الجنوبي للجزء الأول المتخلى عنه (Zairi, "L'enceinte," fig. 1). علاوة على ذلك، يبرز الجزأين الأول والثاني استمرارية على مستوى نوعية أبراجهما التي ضمت أبوابا مركزية، عكس أبراج الجزء الثالث التي تبرز قطيعة نوعية بفعل ضمها لأبواب جانبية (*Ibid.*, fig. 4-5, 7)، الأمر الذي ساعدنا على تأريخ الجزء الثالث إبان مرحلة لاحقة على الجزأين الأول والثاني، على اعتبار أن الجزء الثالث اتكأ على الجزء الأول من السور. أما على مستوى الأبواب، فتخبرنا الدراسة النوعية بتزامن البابين A (تعود للجزء الثالث) وC (تنتمي للجزء الأول)، لأن الباب C بني وفق نفس تصميم A، فضلا عن أن برجيهما يضمان مداخل جانبية شبيهة بمداخل الأبراج التي تعود للجزء الثالث (*Ibid.*, fig. 2). في نفس الاتجاه، يظهر أن الأبواب الثلاث E وFg وG التي انتظمت على طول مسار الجزء الثاني، تعود لمرحلة متزامنة لأنها أقيمت وفق نفس التصميم (*Ibid.*, fig. 3)، كما ترجع إلى مرحلة لاحقة على الباب D الأقدم بالمدينة، لأن الباب الأخير ينتمي إلى الجزء الأول من السور المؤرخ نسبيا في مرحلة سابقة على الجزء الثاني. من جهة أخرى، كشفت نتائج الاستبار الذي أنجزه الباحث رشيد البوزيدي (R. Bouzidi) بحي التل (رقم ١٢) ما بين قناة المياه وأساس الجدار AB عن مستوى أثري روماني، يعود لمرحلة سابقة على بناء قناة المياه، تكون من عتبة تعود لباب بلغ عرضه ١,٧٠ مترا، تكونت من بلاطتين، أقيمت على جدار بلغ طوله حوالي ٣,٢٠ مترا وعرضه ١,٥٥ مترا، بني بأحجار مختلفة الحجم مرتبطة فيما بينها برابط جيري ورملي، (Rachid Bouzidi, *"Recherches archéologique sur le quartier du tumulus (volubilis)*," (Thèse de troisième cycle, Institut National des Sciences de l'Archéologie et du Patrimoine, (Rabat, 2001), 87-88 ; 177-179, fig. 65-66). وقد مكنتنا إعادة قراءة البقايا التي أبان عنها الاستبار المنجز بحي التل من ربط الجدار وعتبته بالجزء الأول من السور، استنادا إلى سمك السور وتشابه تقنية ومواد البناء المستعملة بالجدار وكذا عدم انتمائه إلى أية بناية. وما دام الجدار والعتبة X يرجعان إلى مرحلة سابقة على قناة المياه المؤرخة في المرحلة الفلافية (٦٠-٨٠ ميلادية)، فإن الجزء الأول من السور يعود هو الآخر إلى مرحلة سابقة على بناء قناة المياه، نرجح تحديدها ما بين سنتي ٤٤-٦٠ ميلادية. أما الجزء الثاني فيرجع لمرحلة ثانية من تطور المدينة، تؤرخ ما بين ١٦٨-١٦٩ ميلادية استنادا إلى النقيشة التي تم العثور عليها بالباب F.

(45) Akerraz et Lenoir, "Les huileries," 97; Akerraz, "Y a-t-il des huileries," 7.

(46) Akerraz et Lenoir, "Appendice," 459-460.

(47) Makdoun, "La maison," 1703-23 ; Feddoul, "*La maison*," 34, 45-49, 53, 66.

(48) Marcel Benabou, *La résistance africaine à la romanisation*, (Paris : F. Maspero, 1976), 180-182 ; René Rebuffat, "Une zone militaire et sa vie économique: le limes de Tripolitaine," dans *Armée et fiscalité dans le monde antique*, Colloques nationaux du CNRS n° 936, Paris, 14-16 octobre 1976, (Paris: Centre national de la recherche scientifique, 1977), 404-408.

(49) Akerraz et Lenoir, "Les huileries," 95.

(50) Habibi M., "Découverte d'une installation vinicole antique à Sidi Boulanouar (Région de Tanger)," dans *Actes du colloque La Maurétanie, le monde méditerranéen*, Tétouan 24-26 novembre 2016, (Tétouan: Publications de la Faculté des Lettres et sciences Humaines, Université Abdelmalek Es-Saadi, 2018). (à paraître)

(51) Rocca I., Carrato Ch., Kbiri Alaoui M. et Ichkhakh A. (dir.), "Recherches archéologiques à Rirha, Sidi Slimane (Maroc)," Campagnes de du 10 juin au 4 juillet 2019, Rapport d'activité (2019): 14, 97-105.